**إعطاء التعليم أولوية في حالات الطوارئ**

يعيش 40 مليون طفل من أصل 70 مليون طفلا تقريبا لم ينتظموا في المدرسة عام 2008 في مناطق هشة متأثرة بالنزاعات، ولا يذهب ملايين الأطفال الآخرين إلى المدرسة بسبب الكوارث الطبيعية. وأقل ما يمكن أن يقال أن حياة هؤلاء تعطلت فيما يحاولون هم وعائلاتهم أن يتعاملوا مع الأخطار المستمرة والوضع السريع المتغير الذي ينشأ عادة عن حالات الطوارئ. أما في أسوء الحالات فهم يتعرضون لمعاناة أكبر ويعانون من الأذى الجسدي، والحرمان والانفصال عن عائلاتهم والتهجير. وفي حضم الأزمة يحتاج هؤلاء إلى الحماية والشعور بالأمن ووجود روتين يومي في حياتهم لمساعدتهم على تجاوز الصدمة النفسية التي قد يعانون منها. ويمكن للتعليم أن يوفر هذه العوامل وأكثر منها، وهو يلعب دورا هاما في دعم الأطفال طوال فترة الطوارئ وبعد انتهائها، ويجب أن يكون جزءا من جميع استجابات الإغاثة الإنسانية.

وإضافة إلى الصدمة المباشرة، تزيد حالات الطوارئ من خطر تعرض المجموعات المتأثرة لانتهاكات حقوق الإنسان - كالاتجار بالأشخاص والتجنيد في المجموعات المسلحة - إضافة إلى زيادة التعرض للإصابات والاعتلال الصحي بسبب الأجسام غير المنفجرة أو الأمراض. يجب أن يكون التعليم أولوية من بداية أي استجابة إنسانية لأنه يوفر الحماية الجسدية والدعم النفسي.

ولكن بالرغم من هذا، اعتبر التعليم تاريخيا من ضمن العناصر الثانوية في أوقات الأزمات الإنسانية، وكثيرا ما كانت - الخدمات التعليمية التي تتعطل بسبب الأزمات – تُهمل فيما يتحرك المجتمع الدولي للتدخل. وبالرغم من أن وجود تغيير بطيء، مثتمل بتشكيل مجموعة التعليم عام 2006، إلا أنه كثيرا ما يتم إغفال الحق في التعليم. حيث تبرز هيكلية غير صحيحة للحقوق، تعطي التعليم أولوية منخفضة بالرغم من الفوائد الكثيرة المثبتة التي يجلبها. ففي بعض الحالات تتعطل مدارس الأطفال لأسابيع وشهور، وفي الحالات الصعبة قد يمتد ذلك لأسابيع.

يجلب ضمان حق التعليم للأطفال في جميع الأوقات العديد من الفوائد التي تؤثر على تطورهم الشخصي والاجتماعي والإدراكي. يمكن للتعليم في حالات الطوارئ أن يساعد في الحد من تعطل النمو العاطفي والاجتماعي من خلال تزويدهم ببيئة آمنة يستطيعون التفاعل فيها مع أقرانهم ومع الكبار؛ بيئة يستطيعون فيها أن يمارسوا فيها طفولتهم ويحصلوا على الدعم النفسي، ويشعروا فيها بوتيرة الحياة الطبيعية وسط عالم تعمه الفوضى. وصفت الراحلة كاترينا توماسيفكي التعليم بأنه ".... عامل له أثر مضاعف، فهو يعزز تمتع جميع الأفراد ببقية حقوق الإنسان والحريات حيث يتم فيها ضمان التعليم بفعالية ..."[[1]](#footnote-1) فالتعليم يمكن أن يكون حبل نجاة، بالمعني الحرفي للكلمة، في حالات الطوارئ.

**التعليم يوفر الحماية:**

يجب أن يكون توفير الحماية للأطفال في أوقات الطوارئ أحد أهم الأولويات، حيث يمكن أن يلعب التعليم دورا هاما في توفير الحماية الجسدية والنفسية للأطفال طوال فترة الأزمة.

* يوفر التعليم الحماية المباشرة للأطفال من الموت والأذى الجسدي، مثل التوعية بمخاطر الألغام والأجسام غير المنفجرة، وتوفير المعلومات عن فيروس نقص المناعة البشرية، والإيدز، وتعزيز الصحة والنظافة العامة.
* يمكن أن توفر المساحات الآمنة التي يستطيع الأطفال اللعب فيها ومراكز التعلم المؤقتة طريقة فاعلة لتحديد الأطفال المنفصلين عن أهلهم وذويهم وإعادة لم شملهم.
* الأطفال الذين يذهبون للمدرسة أقل عرضة للتجنيد في المجموعات المسلحة، والعمل القاسي والتورط في الاتجار بالبشر.

يعتبر تشكيل مساحات صديقة للأطفال مكونا أساسيا واستجابة تعليمية ضرورية، حيث أنها توفر للأطفال مكانا يستطيعون فيه الاستمتاع بالحماية الجسدية والدعم النفسي والاجتماعي. توفر هذه الأماكن فرصة للأطفال ليكتسبوا المعرفة والمهارات التي قد تنقذ حياتهم، ابتداء من تقنيات غسل اليدين وانتهاء بمنع انتشار الأمراض والتعرف على مخاطر الألغام أو الأجسام غير المنفجرة - كما تساهم في توصيل المعرفة إلى أسر الأطفال والمجتمع بشكل عام. إضافة إلى ذلك يمكن لهذه المساحات أن تكون نقطة مركزية يتم من خلالها لم شمل الأطفال بعائلاتهم، أو مكانا يستطيع فيه الأهل ترك أطفالهم بأمان، فيما يذهبون إلى نقاط التوزيع، أو للعثور على الأقارب، وإعادة بناء حياتهم.

**الحماية المادية:**

* يوفر أماكن آمنة ومنظمة للعب والتعلم
* الوصول إلى جميع الأطفال دون تمييز
* يوفر الوسائل اللازمة لتحديد الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة ، مثل أولئك الذين يعانون من الصدمة النفسية أو الانفصال عن العائلة
* يشرك الأطفال في بدائل إيجابية للتجنيد في القوات المسلحة أو الانخراط في العصابات أو المخدرات
* يوفر الرعاية والإشراف من خلال المعلمين وبالتشاور مع الأهل والأوصياء
* يزود الأطفال بمعرفة أساسية عن الصحة والنظافة العامة
* يمكن أن يحسن من تغذية الطفل من خلال توفير وجبات يومية مغذية كجزء من نظام التغذية في المدارس
* يعد الأطفال للعمل المناسب غير المؤذي، والذي لا يهدد الصحة والأمن

**الحماية النفسية**

* يعطي الأطفال هوية كطلاب، ويحول دون الشعور بعدم المساواة الذي قد يشعر به الأطفال المتسربون من المدارس
* يوفر مكانا للتعبير من خلال اللعب والنشاطات الثقافية مثل الرياضة والموسيقية والمسرح والفن
* ييسر الدمج الاجتماعي للمجموعات الهشة مثل الأطفال المنفصلين عن أهلهم والمقاتلين السابقين
* يدعم الشبكات الاجتماعية والتفاعل المجتمعي لصالح الأطفال وأسرهم
* يوفر روتينا يوميا وإحساسا بوجود مستقبل أبعد من الحرب والدمار السائدين

يتيح الجمع بين الأطفال ليلعبوا ويتعلموا الإحساس بعودة الحياة لطبيعتها بأسرع وقت ممكن من خلال اللعب والتفاعل بين الأطفال أنفسهم، وبين الأطفال والكبار. ومن خلال اللعب والنشاطات المبتكرة في بيئة آمنة يستطيع الأطفال أن يستوعبوا ما حصل لهم ولأسرهم، ويتيح لهم هذا الفرصة للتعبير عن مخاوفهم لأقرانهم، أو لأشخاص راشدين يثقون بهم، مما يوفر متنفسا لعواطفهم. ويجب أن يكون هناك مناطق هادئة يمكن للأطفال فيها أن يتحدثوا أو يحصلوا على دعم متخصص.

المساحات الصديقة للطفل هي مساحة مخصصة للأطفال تحت الإشراف اللازم ليقوموا فيها باللعب وممارسة النشاطات الإبداعية والتعلم غير الرسمي والتفاعل مع الآخرين ومع الكبار الذين يقدمون لهم الرعاية. يتم تقسيم اليوم بحيث يتمكن الأطفال من الأعمار المختلفة من استخدام موارد معينة ومساحات معينة في أوقات محددة، ويتم مع الوقت استبدال نشاطات اللعب والتعلم غير الرسمي بنشاطات أكثر تنظيما وبالتعليم الرسمي بشكل تدريجي.

تدحض الحماية والدعم اللذان يوفرهما التعليم خلال حالات الطوارئ وجهة النظر التقليدية القائلة بأن التعليم أقل أهمية من القطاعات الأخرى كالغذاء والصرف الصحي، والمياه والمأوى. وفي الواقع أصبحت جهود الإغاثة الإنسانية في السنوات الأخيرة أفضل بكثير، حيث أنها تهدف لتعزيز الكرامة الإنسانية والتعافي وتعمل على تحقيق ذلك، كما أنها تأخذ بعين الاعتبار الأثر الاقتصادي طويل الأمد للكوارث، والنزاعات وتهجير الأفراد والمجموعات، من خلال التصدي لمشاكل مثل تعطيل سبل العيش، وعدم القدرة على الوصول للأسواق، وانعدام الأمن الغذائي على سبيل المثال. ويجب أن يتضمن هذا التوجه المحسن القدرة على الوصول للتعليم. ففرص الأطفال يجب ألا تكون محصورة في خدمات الاستجابة التقليدية للطوارئ. وحتى في أشد الكوارث، يجب أن يكون الأطفال قادرين على الوصول إلى الفرص التي تدعم تعلمهم ونموهم بشكل تدريجي. وتبقى إعادة توفير الخدمات التعليمية بأسرع وقت ممكن أمرا ضروريا من أجل تعافي الأطفال خلال حالة الطوارئ، أو في أعقابها مباشرة.

ولكن أهمل المجتمع المحلي لسنوات أهمية التعليم من أجل الأطفال العالقين في حالات الطوارئ، حيث يعتبر في أحسن الأحوال أحد المخاوف الثانوية في معظم الاستجابات الإنسانية . ولا تذكر سوى مجموعة ضئيلة من الجهات المانحة التعليم صراحة كجزء من سياسات الإغاثة الإنسانية لديهم[[2]](#footnote-2). ولكن في كانون الأول 2006 قامت اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات بإنشاء مجموعة التعليم ، وهذا إقرار منها بمركزية التعليم في جميع الاستجابات الإنسانية[[3]](#footnote-3)، وإقرار دولي متنام بدور الاستثمار بالتعليم في حماية الأطفال من الجوانب الأشد ضررا في حالات الطوارئ.

**التعليم: حق في جميع الأوقات**

إضافة إلى فائدة التعليم المثبتة، يعد التعليم أيضا هو حقا أساسيا للأطفال – حقا عالميا لا يمكن فصله عن الحقوق الأخرى - بغض النظر عن السياق والحكومات والجهات المانحة المكلفة بحفظ هذا الحق.

في عام 2008 اختار المقرر الخاص التركيز في تقريره السنوي على الحق في التعليم في حالات الطوارئ[[4]](#footnote-4)، وسلط الضوء في مقدمة التقرير على الحاجة الملحة لمضاعفة الجهود من أجل حماية الفرص التعليمية لهؤلاء الأشخاص - خاصة الأطفال واليافعين والشباب - والذين يخسرون فرص الالتحاق بالمدرسة بسبب تضرر مجتمعهم بحالة طوارئ".

يذكر تقرير المقرر الخاص الحكومات والجهات المانحة والمجتمع الدولي بأن الحقوق بما فيها الحق في التعليم، ملزمة قانونيا وعالميا ولا يمكن تجزئتها أو التنازل عنها. حيث يحق للأطفال الذهاب إلى المدرسة بغض النظر عن السياق أو التحديات، ونحن لا نستطيع أن نحرم هؤلاء الأطفال من حقهم ببساطة لأن توفير الخدمات التعليمية في حالات الطوارئ أمر معقد، وكذلك لا نستطيع أن نقول أن نفاضل بين الحقوق وافتراض إمكانية تأجيل الحق في التعليم.

تجاوز سوء الفهم

بالرغم من أن هناك أعدادا أكبر من الناس بدأت تفهم معنى التعليم في حالات الطوارئ، إلا أن الكثيرين لا يزالون يخلطون بينه وبين التعليم المدرسي الذي نعرفه بصورته التقليدية في الحالات المستقرة. إن الجوانب الكثيرة للتعليم في حالات الطوارئ غير معروفة ومنتشرة كما هي الحال في بقية القطاعات مثل توفير الملاجئ في حالات الطوارئ، والمياه والصرف الصحي. ولذا عندما تقع الكارثة يمكن أن يعتبر التعليم غير مناسب أو خطأ في بعض الأحيان. ولذا يعتبر تجاوز المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالتعليم في حالات الطوارئ ضروريا، وكذلك توضيح ما هي المساحات الصديقة للأطفال، وأن الأولوية لا يجب أن تكون لإعادة بناء الغرف الصفية.

يعتبر توفير التعليم في بعض حالات الطوارئ "أمرا يصعب تحقيقه" - وذلك لأنه بحسب تعريف التعليم فإنه مجموعة من النشاطات المرتبطة ببعضها البعض، والتي لا تقتصر في معظم الحالات على توزيع الإمدادات، ولكنها تتضمن أيضا عددا من مكونات البرامج بما فيها بناء القدرات (قد يكون ذلك من خلال التدريب)، وإنشاء مرافق تعليم تتطلب إشراك المجتمعات المحلية والمعنيين الآخرين في التعليم. وبالطبع فإن قياس الفوائد أو الآثار قد يتطلب وقتا أطول - مقارنة مع توزيع الغذاء والمواد الضرورية للأسرة والإمدادات الصحية.

لا يتم الاعتراف بالتعليم دائما على أنه أحد الأولويات في الأيام المبكرة من حالة الطوارئ، ولذا لا تغطي عمليات التقويم الأولية التعليم، كما لا يرد ذكره في طلبات تمويل مشاريع التصدي للمسائل الناشئة عن حالة الطوارئ.

تتطلب الاستجابة الجيدة تقويما جيدا وتحليلا معمقا وتصميما جيدا للبرامج – هي جميعها أشياء يمكن أن تتم خلال تقيدم خدمات القطاعات الأخرى المرئية والملموسة.

ما هو شكل الاستجابة

بالرغم من أنه لا يمكن أن يكون لاستجابتين الشكل نفسه، إلا أن هناك بعض المكونات المشتركة في استجابات التعليم. فبالعادة ما يكون الأطفال ممتنين لوجود نشاطات ترفيهية خلال حالة الطوارئ وبعدها، ولذا يمكن أن يكون توفير إمدادات الطوارئ المرتبطة بالثقافة ودعم النشاطات الترفيهية واللعب من ضمن النشاطات الرئيسية. كذلك يعتبر إنشاء مساحات للتعليم أيضا أحد النشاطات الرئيسية، يمكن أن تكون هذه المساحات ملجأ مؤقتا تم بناؤه بمواد محلية، أو خيمة أو أي ملجأ آخر. كما أن هناك حاجة لأفراد يقومون بالتدريس ورعاية الأطفال والإشراف عليهم – وقد يحتاج هؤلاء للتدريب السريع والدعم والإشراف. وفي كثير من الأحيان تكون هناك حاجة لتوفير لوازم التعليم والتعلم لإتاحة بدء العمل في الصفوف، وإشراك الأطفال في نشاطات هادفة ضمن الحد الأدنى الممكن من التوتر. يجب أن يكون الأطفال والمعلمون قادرين على الوصول إلى مرافق المياه والصرف الصحي، ويجب أن توفر هذه المرافق على الأقل الحد الأدنى من الخدمات للجميع . كما يحتاج مسؤولو التعليم أحيانا إلى الدعم ليتمكنوا من توفير الدعم الجيد والإرشاد للمعلمين من أجل إعادة العمل بالأنظمة الإدارية والحفاظ عليها، والتي تيسر بدورها العمليات المدرسية الفاعلة.

عد المستفيدين

إن لم يكن ما ذكر في الفقرات السابقة كافيا لإدخال التعليم ضمن الاستجابات الإنسانية، فيجب على المجتمع الإنساني عندها أن يستمع إلى أصوات المجموعات السكانية المتأثرة . فأحد أهم القيم في سياسات الإغاثة الإنسانية الدولية هي الاستجابة لطلبات المجموعات السكانية المتأثرة، ويؤكد الأطفال والأهالي مرارا وتكرارا على أن التعليم هو أحد أولوياتهم.

تمثل المدارس في معظم المجتمعات المحلية، وخاصة في المجتمعات الريفية الصغيرة أحد نقاط الارتباط الأساسية. حيث تقع المدارس في قلب المجتمعات المحلية، وهي تمثل فرصة الأجيال وأملهم بمستقبل أفضل. للأطفال والأهالي تطلعات وآمال، والتعليم عامل رئيسي في زيادة قدرة الأطفال على المشاركة بشكل كامل في مجتمعاتهم - بما في ذلك حياة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية - وفي أوقات الأزمات تبين الأدلة أن السكان يعتبرون التعليم من ضمن أهم أولوياتهم.

**الاستنتاجات - من الأزمة إلى الاستقرار**

الفوائد التي يحققها التعليم في أوقات الأزمات الإنسانية بينة لا خلاف عليها، ومن المهم أن نعرف أن توفيره ممكن، ويمكن له أيضا أن يدعم توفير مساعدات الإغاثة وقت الأزمة وفي أعقابها. لا يعني تقديم التعليم في حالات الطوارئ بناء المدارس، ولكنه يعني توفير الفرص المستمرة للأطفال للحصول على التعليم الرسمي وغير الرسمي والنمو. وفي حالات الطوارئ يمكن أن تبقى الخدمات التعليمية معطلة من أشهر إلى سنوات، خاصة في حالات الطوارئ المعقدة . وحسب الإحصاءات ، يصل معدل فترة تهجير النازحين إلى 17 سنة[[5]](#footnote-5). ويمكن أن يؤدي عدم توفر التعليم في هذه الفترة إلى حرمان جيل بأكمله من التعليم المدرسي وفرصة تعلم القراءة والكتابة والحساب، وإمكانية المساهمة في عملية إعادة الإعمار التي تلحق بالأزمة. حيث أن البناء السلمي والنمو الاقتصادي على المدى الطويل يحتاج إلى أفراد متعلمين.

وفي حال توفر التعليم ابتداء من الفترة الأولى من حالة الطوارئ، وشكل جزءا من مجموعة من الخدمات تساعد في الانتقال من الأزمة إلى الاستقرار، ستنخفض نسبة الأطفال المتسربين من المدارس في العالم. هناك أكثر من 40 مليون طفل لا يجلس على مقاعد الدراسة في الدول المتأثرة بالنزاعات وتلك التي أرهقتها الأزمات الإنسانية لسنوات طويلة، ويمكن لدعم التعليم من بداية نشوء الأزمة أو حالة الطوارئ أن يمنع خسارة أجيال كاملة من الأطفال لفوائد التعليم وفرصة كسر حلقات الأزمات الإنسانية.

يجب أن يكون التعليم جزءا من الاستجابة الإنسانية ابتداء من اليوم الأول إن كنا نريد حماية الأطفال، والحفاظ على حقوقهم إعطائهم الفرصة في أن يكون لهم مستقبل أفضل.

1. التقرير السنوي للمقرر الخاص حول الحق في التعليم، كاترينا توماسيفسكي، وثيقة الأمم المتحدة: e/CN.4/2001/52، 9 كانون الثاني 2001، الفقرة 11 [↑](#footnote-ref-1)
2. كندا، دنمارك، اليابان، النرويج والسويد [↑](#footnote-ref-2)
3. للمزيد من المعلومات الرجاء زيارة الموقع الإلكتروني: http://ocha.unog.ch/humanitarianreform/Default.aspx?tabid=115 [↑](#footnote-ref-3)
4. A/HRC/8/10 20 20 أيار 2008 [↑](#footnote-ref-4)
5. المفوضية السامية للاجئين، الجلسة 56 للجنة التنفيذية: تقرير حول الاستشارات السنوية مع المنظمات غير الحكومية. (2005) [↑](#footnote-ref-5)